الدرس السادس لسان العرب لابن منظور

1- التعريف بصاحب المعجم:

هو محمد بن جلال الدين بن مكرم بن نجيب الدين الرويفعي الأنصاري، ويعود نسبه إلى الصحابي رويفع بن ثابت الأنصاري الذي شهد معركة خيبر مع الرسول صلى الله عليه وسلم، إلا أن جلَّ من ترجموا لابن منظور قد توقفوا عند جده السابع منظور وإليه نسب وعرف في الأدب العربي والإسلامي.

اختلف المؤرخون بشأن مكان ولادته، فمنهم من رأى أنه ولد في القاهرة ومنهم من رأى أنه ولد بطرابلس الغرب، إلا أن الثابت أنه نشأ بمصر.
قضى ابن منظور عمره في الدراسة والكتابة والتأليف، ودأب على اختصار الكتب العربية القيّمة وتلخيصها، وكان "لا يمل من ذلك" كما قال عنه المحدِّث ابن حجر.

كان ابن منظور ذا صيت حسن، وأهّله عمله وتقواه للعمل في دار الإنشاء في القاهرة، وتولي القضاء في طرابلس الغرب.

ومن أشهر أعمال ابن منظور معجمه الشامل "لسان العرب" الذي يعتبر أكثر المعاجم العربية موسوعية وشمولا، ومرجعا يعول عليه في أوساط علماء لغة الضاد.

وقد أسس ابن منظور معجمه على خمسة معاجم سابقة هي "تهذيب اللغة" للأزهري و"المحكم" لابن سيده و"الصحاح" للجوهري و"حاشية الصحاح" لابن بري "والنهاية في غريب الحديث" لعز الدين بن الأثير.

ولم يقلّل ابن منظور في تقديمه للسان العرب من جهود من سبقوه، وبيّن أن غرضه من وضع معجم لسان العرب هو إعادة الفهرسة وإعادة الإنتاج بطابع علمي سلس يسهل على الدارس الوصول إلى غايته.

مؤلف معجم «لسان العرب» هو: «محمد بن جلال الدين مكرّم ابن منظور»، شهر بنسبته إلى جده السابع «منظور» إذ عنده يقف أكثر من ترجموا له. ولد بمصر سنة (630 هـ)، حيث كان لأبيه مركز ديني وعلمي، ولذلك انشغل بالتحصيل العلمي منذ طفولته، وقد جذبته هذه الحركة العلمية كثيراً، فبيتهم كان معروفاً بعلمه منذ جده الأول، ولعل لقبه جلال الدين خير دليل على مكانه.

وكان من أهم أعماله كتاب: «لسان العرب» والذي استخدم فيه نمط محدد، فلم يخرج عن النقل من الكتب اللغوية التي اعتمد عليها في تبويب ما نقل، وعرضه في صورة ميسرة، حيث قال في مقدمة كتابه: (..فجمعت منها في هذا الكتاب ما تفرق، وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمت بها، ولا وسيلة أتمسك بسببها، سوى أني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم).

لسان العرب لابن منظور:

أسلوب الكتاب:

بدأ «ابن منظور» معجمه «لسان العرب» بمقدمة ذكرت شيئا من المناهج التي اعتمدها، ومناهج الكتب التي كانت مرجعا له، ورأى أن يجمع من تلك المراجع خالصها، وأن يرتب هذا الخالص بأن يلتزم بالحرف الأخير من الكلمة، فيجعله بابا، ثم يفرع على الباب فصولا، ويجعل رموزها الحرف الأول من كلمات الباب.

فلسان العرب على هذا الترتيب الذي ارتضاه «ابن منظور» يكون عمل من أعمال المدرسة الثالثة، التي كان على رأسها «الجوهري». ثم رتب «ابن منظور» كتابه على ترتيب الجوهري لصحاحه. وصدّره بفصل في تفسير الحروف المقطعة التي وردت في أوائل سور القرآن الكريم، إذ ينطق بها مفرقة غير مؤلفة ولا منظمة ولو لم يجعلها في باب، فتفرقت على أبواب، كل كلمة في بابها، وكان الأزهري، قد عقد لهذه الحروف المقطعة فصلا، جعله في آخر كتابه «التهذيب» غير أن «ابن منظور» حين نقلها عن الأزهري، لم يشأ أن يؤخرها، بل صدر بها كتابه، وذلك للتبرك بتفسير كلام الله تعالى الخاص به، الذي لم يشاركه أحد فيه، إلا من تبرّك بالنطق به في تلاوته، ولا يعلم معناه إلا هو، لذلك اختار الابتداء بها. وبعد هذا التصدير، عقد «ابن منظور» بابا في ألقاب الحروف وطبائعها وخواصها، وقد ساق في هذا التصدير، ما عند ابن كيسان، والخليل بن أحمد، في ألقاب حروف الهجاء، ثم ما عند الخليل وسيبويه حول ترتيبها من حيث المخرج، ثم ما عند الخليل وسيبويه وابن كيسان والأزهري، حول العلامات بين الحروف المتقاربة المخارج والمتباعدة من تناسق وتنافر.

وبعد ذلك، ساق ابن منظور مواد كتابه «اللسان» مبتدئا بحرف الهمزة، ثم عرض الأبواب والفصول.

وقد درج «ابن منظور» على التمهيد لبعض الأبواب بكلمة موجزة عن الحرف المعقود له بابا، يذكر فيها مخرجه وخلاف النحويين فيه.

وهو في ذلك يستقي هذا من مرجع من مراجعه الخمسة في أكثر الأحيان، وإن لم يجد استخلصه من كتب النحو والصرف.

وقد أتم «ابن منظور» تأليف كتابه «اللسان» نحو 681 هـ، كما أثبت ذلك بخطه في آخر الكتاب.

ونحن حين ننظر إلى مادته في معجم «لسان العرب» فإن ما يدهشنا هو غزارة المعلومات حول تلك المادة، وهذا عائد إلى أن المؤلف قد جمع خمسة مؤلفات في مؤلف واحد، وبذلك نرى الجهد الكبير الذي اقتضاه تأليف هذا المعجم.

وكان هم «ابن منظور» في «لسان العرب» الاستقصاء إلى أبعد حد، وهو حين يكثر الأخذ في مادة عن مرجع، يغلب طابع هذا المرجع على المادة، ولقد حرك هذا العمل رجال عصره بتقريظه.

وتروي لنا كتب التراث كثيرا من القصائد التي قيلت في مدح «ابن منظور» وكتابه «لسان العرب» وقد عاش المؤلف طويلا، إلى أن جاوز الثمانين عاما، وقد عاش هذا العمر قارئا كاتباً،

وقبل أن يخرج من حياته، خرج عنه بصره فعاش بعض السنين لا يقرأ ولا يكتب، ولكن يسمع ويُسمع منه، وظل متابعا للعلم، ولم تقعده العاهة التي أصابته، بل ظل وفيا للعلم والمعرفة، وإماماً لمن يريد الاقتداء به، من أجل الوصول إلى غاية نبيلة شريفة.

منهجه:

يمكن أن يوجز منهج ابن منظور في كتابه لسان العرب فيما يلي:

1- جَرَّد الكلمات من الزوائد، وأرجعها إلى أصولها شأنه في ذلك شأن جميع أصحاب المعاجم.

2- اتبع مدرسة القافية؛ فجعل الحرف الأخير من الكلمة بابًا، والأول فصلًا، شأنه بذلك شأن الجوهري إلا أنه قدم الهاء على الواو.

3- استشهد بالقرآن، والحديث، ومأثور كلام العرب.

4- اعتنى بلغات العرب، واهتم بالنوادر.

5- جمع ما تفرق في المعاجم الأخرى.

مميزاته:

يمكن إيجازها فيما يلي:

1- اتباعه لنظام القافية، وهو أيسر من نظام التقليبات.

2-توسع في شرح المواد وما تفرع منها من ألفاظ حتى يقال: إنه احتوى على ثمانين ألف مادة على حين أن الصحاح احتوى على أربعين ألفًا، والقاموس على ستين ألفًا.

3- امتاز - كما مر - بالاستشهاد بالقرآن، والحديث، وما أثر من كلام العرب.

4- اعتنى بنسبة الأشعار إلى أصحابها، حتى إنه لَيُعَدُّ مرجعًا مهما في ذلك.

5- اهتم بلهجات العرب، وبتوجيه القراءات.

6- اهتم بذكر بعض القواعد النحوية والصرفية.

عيوبه:

لا شك أن الاتساع الكبير في شرح مواد اللغة الذي لجأ إليه ابن منظور في كتابه لسان العرب قد أدى إلى وقوعه في بعض المآخذ التي يمكن إيجازها فيما يلي:

1- التكرار في شرح بعض الألفاظ، والتكرار في ذكر الشواهد.

2- إهماله لكثير من المعاني بالرغم من رجوعه إلى كثير من المصادر.

3- فاته الاستفادة من بعض المعاجم السابقة مثل معجم مقاييس اللغة.

4-فاته كثير من الصِّيغ والشواهد التي ذكرت في كتاب العين، والجمهرة، والبارع، وغيرها من المعاجم.

وعلى أي حال فمعجم لسان العرب من المعاجم التي تفخر بها بالعربية، ولا يستغنى عنه بغيره.

خصائصه:

1- ضمّ "لسان العرب" :بين دفّتيه خمسة من أهمّ المعاجم العربية السابقة عليه، وهي: "صحاح اللغة" للجوهري، "حواشي ابن برّي" على الصحاح، "تهذيب اللغة" للأزهري، "النهاية في غريب الحديث" لابن الأثير، و"المحكم" لابن سيده. إضافة إلى كتب أخرى ذكرها المؤلف في صميم الكتاب ناقلاً منها، مثل "كتاب النبات" لأبي حنيفة الدينوري، وكتاب "المنجد في اللغة" لكراع النمل، واستطرادات ومباحث لغوية ونحوية وأدبية مفيدة.

2-"لسان العرب" ليس كتاب لغة فحسب، بل هو أيضاً كتاب نحو وصرف وفقه وأدب وشرح للحديث الشريف وتفسير للقرآن الكريم. رتّب ابن منظور كتابه ترتيباً متقناً محكماً سهل التناول، متبعاً في ذلك تقسيم الأبواب تقسيماً ألفبائيًّا كما فعل الجوهري في "صحاحه"، ثم قسّم الأبواب إلى فصول مرتبة أيضاً ترتيباً ألفبائيًّا معتمداً في كل ذلك الحرف الأخير من جذر الكلمة الأصلي؛ فمثلاً لفظة "استرهب" تردّها إلى جذرها (ر هـ ب)، وتجدها في فصل الراء من باب الباء. وقد أصبح هذا الترتيب سهل التناول بالنسبة إلى الباحثين والطلاب على حدّ سواء.

3- أكثر ابن منظور من الاستشهاد على ما يورده من الألفاظ بالقرآن والحديث والأقوال المأثورة والأشعار والرجاز التي تُعتبر من المصادر الأساسية للغة العرب؛ ولم تأت استشهاد المتنوّعة حشواً أو ناقلا بل كانت موضِّحة للمراد المقصود والفائدة المتوخّاة .

للاطلاع أكثر والاستزادة ينظر:

1- ابن منظور: لسان العرب
2- عبد اللطيف الصوفي:اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية
3- عبد السميع محمد أحمد: المعاجم العربية، دراسة تحليلية
4- رشاد الحمزاوي: من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا
5- حسين نصار:المعجم العربي نشأته وتطوره
6- إبراهيم السامرائي: معجميات
7- إميل يعقوب: المعاجم اللغوية العربية: بداياتها وتطورها